الفصل العاشر

لا تدعي «كل من هب ودب» يلمس وجهك

أنا أصعق عندما أسمع قصص الأشخاص الذين أجريت لهم معالجات طبية وجراحية تحمل في ثناياها مخاطر كبيرة من قبل أشخاص غير مدربين وغير مؤهلين وليسوا حتى أطباء. قامت الشرطة مؤخراً في ولاية ماساتشوستس (حيث أعيش)، موطن كلية طب جامعة هارفرد وكثير من المستشفيات والأطباء المشهورين عالمياً، بغارة على منزل في إحدى الضواحي حيث كان رجل وزوجته يجريان عملية تصنيع الأجفان في منزلهما دون أي تدريب طبي على الإطلاق.

لا أدري ماذا يدور في خلد الناس عندما يضعون أنفسهم تحت مثل هذا الخطر، لكنني أدري ما لا يفكرون به. إنهم لا يفكرون بماذا سيفعلون عندما تحصل مشكلات مثل الإنتان أو النزيف. كما أنهم لا يفكرون بما سيقومون به إذا لم تعطِ المعالجة النتائج التي يرجونها.

هناك قلق كبير في هذه البلاد من أن الأشخاص غيرالمدربين الذين لا يملكون المهارات اللازمة يقومون بعمليات إعادة الشباب التجميلية[1]. ما يخيفنا أكثر هي حقيقة أن هناك تزايد كبير في المراكز التجارية التي

تسمى مراكز الصحة المائية (السبا) حيث تقوم الممرضات وغير الأطباء بعمليات تحمل إمكانية الخطر، بما يفترض أنه تحت إشراف طبيب، في حين لا يكون الطبيب موجوداً حتى في المركز!

أعتقد أن العامل الأساس في حصول ذلك هو الفكرة السائدة بأن العمليات التجميلية أبسط من العمليات الكبيرة وبالتالي هي عمليات أقل خطورة. يضاف إلى هذه الفكرة الخاطئة أن المهارة والسهولة التي يجري بهما الطبيب المتمرن هذه العمليات تجعلها تبدو سهلة مما يخدع الممرضات والأطباء الآخرين حيث يحسبونها عمليات بسيطة. حصلت وفاة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية عندما فتحت ممرضة عيادة الطبيب التي تعمل فيها ليلاً وأجرت عملية شفط دهون على صديقة لها دون علم الطبيب. توفيت الصديقة. أنا متأكد أن الممرضة شاهدت الطبيب يجري العملية مئات المرات وظنت أنها عملية بسيطة. للأسف، فإن العملية التي بدت سهلة جداً عندما كان يقوم بها الطبيب تحتاج إلى مهارة لا يمكن تعلمها إلّا في برنامج التدريب الجراحي.

دفعت الممرضة عن طريق الخطأ أنبوب الشفط في كبد صديقتها ونزفت الصديقة حتى الموت. هل تريدون سماع المزيد؟

كثير من العمليات غير الجراحية التي نقوم بها مثل حقن البوتوكس® والمالئات، والمعالجات الليزرية، وسحج الأدمة المجهري سريعة جداً وتبدو سهلة بحيث إن المريض لا يقلق ولا يلزم الحذر كما لو أنه كان يفكر بإجراء عمل جراحي. المشكلة دائماً هي ماذا سيحصل لو حدثت مشكلة؟ ماذا لو حقن البوتوكس® أو المالئات في المكان الخاطئ؟ كيف تقرر شدة شعاع الليزر، وكم مرة تعالج الأوعية الدموية أو البقعة البنية؟

التكاليف المادية هي ما يدفع لنشوء هذه الممارسات الخطيرة والضالة. يريد المريض أن ينفق مقداراً أقل من المال ويريد المقاولون الذين يجرون هذه العمليات في «الأزقة الخلفية» أن يكسبوا المزيد منه. تحصل للأسف دائماً أشياء سيئة عندما يطغى الجشع على الحكمة والمبادئ والأخلاق.

بما أنكم واعون إلى حد قراءة مثل هذا الكتاب، فإنكم ستبحثون عن الطبيب المؤهل الذي ينصحكم ويقدم لكم معالجات إعادة شباب الوجه أو يشرف عليها. أنا قلق بشأن الناس الذين يجهلون! لذلك أتمنى منكم أن تعلّموا أصدقاءكم.

إذاً أين تذهبون للحصول على النصيحة والمعالجة لإعادة شباب الوجه؟ معظم المختصين اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية بعلاج هرم الوجه أو إعادة شباب الوجه جراحو تجميل وأطباء جلدية. أعرف أن هناك عدداً آخر من الأطباء قادر بحكم تمرينه واهتمامه وخبرته على تقديم هذه المعالجات. لكن التدريب للحصول على شهادة الاختصاص (البورد الأمريكي أو الزمالة البريطانية وغيرهما) في جراحة التجميل وأمراض الجلد يشمل المعايير التعليمية المعترف بها. إن الإصرار على حيازة الطبيب على شهادة الاختصاص في الاختصاصات المذكورة بداية جيدة يبدأ بها المريض.

لكن استشارة الطبيب المؤهل هي فقط بداية الطريق. لا يمكن للشهادة المعلقة على الحائط أن تخبركم عن مدى مهارة الطبيب وخبرته في عمليات إعادة شباب الوجه. هناك كثير من الأمور يجب حسابها قبل اتخاذ قرار مبني على المعرفة، كما سأشرح ذلك الآن.

حاذروا ـ الخوف صديقكم ـ كيف تختارون الطبيب؟.

يشعر كل شخص ـ وأعني حرفياً كل شخص ـ يأتي لزيارة جراح التجميل لأول مرة بعدم الارتياح أو الخوف. هذا ارتكاس طبيعي يحمي به الشخص نفسه يجب أن يعيره المريض الاهتمام. الجراحة، أو أي عملية أخرى على الوجه، أمر خطير. يسلم المريض وجهه جوهرياً لشخص آخر، نرجو أن يكون طبيباً، فيتحكم ذلك الشخص في مظهر وجه المريض وفي شعوره العام بالصحة الجيدة وحتى بحياته (في حالة العمل الجراحي). يجب ألّا يؤخذ هذا الأمر على محمل الهزل ويبدي معظم الناس ارتكاسات متأصلة عاطفية غريزية «ترفع العلم الأحمر» عندما يعتزمون التخلي عن تحكمهم بصحتهم الخاصة. حسب خبرتي، هناك أمران فقط يساعدان على التخلص من الخوف خاصة عندما يفكر المريض في احتمال العمل الجراحي:

- ثقة وائتمان كاملان بجراح التجميل

أو

- جهل مطبق (آسف لاستعمال كلمات قاسية، لكن هذا أمر مهم)

بالطبع لا ينطبق الأمر الثاني عليكم وإلّا لما كنتم تقرؤون هذا الكتاب.

يوجد للأسف آلاف الأشخاص الذين يفكرون في الخضوع لجراحة التجميل بنفس التروي الذي يعطونه لشراء رغيف من الخبز أو وزرة جديدة. هؤلاء هم الأشخاص الذين تشاهدونهم في برامج الدردشة وهم يذمون جراحة التجميل لأنهم لم يحصلوا على النتائج التي كانوا يتطلعون

إليها، أو الأسوأ من ذلك، لأنهم تعرضوا للأذى. هذا أمر مأساوي، لكنه نادر لحسن الحظ. لكنه أمر يمكن تجنبه شأنه شأن معظم الأخطاء التي نقوم بها في حياتنا.

لحسن الحظ، بما أنكم مفكرون ومثقفون، فإنكم قادرون على تعلم المعلومات الضرورية عن جراحة التجميل بأنفسكم وعلى معرفة ما تحتاجون إليه وكيف تختارون جراح التجميل الذي تثقون به لإجراء العمل الجراحي بالشكل الصحيح.

سوف تقودكم المعلومات و«الحدس الداخلي» إلى الشخص المناسب. تذكروا أنه كان يمكن تجنب 99% من النتائج السيئة.

ما هو الجراح؟

صدقوا أو لا تصدقوا، لا يمكن أن نفترض أن كل طبيب يسمي نفسه «جراحاً» هو في الحقيقة جراح. أتأسف أن أقول لكم إن بعض الأطباء البارزين في مدن كبيرة في الولايات المتحدة من الذين يعلنون على الملأ أنهم «جراحو تجميل» لم يتدربوا ولا ليوم واحد تدريباً جراحياً!

هناك كذلك عديد من الأطباء، مئات بالتأكيد وربما آلاف، يسمون أنفسهم «جراحي تجميل» دون أن يكونوا قد تدربوا ولا ليوم واحد في برنامج تدريب مرخص لجراحة التجميل!

كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ كيف يحصل هذا في بلد تحمي فيه إدارة الدواء في الولايات المتحدة ما نأكله من اللحم وتقوم فيه إدارة الغذاء والأدوية بمنع الأدوية الضارة من الوصول إلى أيدينا؟ (هل سمعتم عن مرض جنون البقر وعن دواء الفايوكس®) الجواب بسيط ذو شقين:

1. نحن نعيش في مجتمع حر. يمكنك أن تسمي نفسك ما شئت. حاولت الجمعية الأمريكية للجراحة التجميلية والتصنيعية، منذ نحو خمس وعشرين سنة، أن تحمي الناس من هذا الخداع بمحاولة الإثبات في المحكمة أنك إذا أطلقت على نفسك لقب جراح تجميل، فإنك يجب أن تكون حاصلاً على شهادة الاختصاص (البورد) وأن تكون قد تدربت على جراحة التجميل. حكمت المحاكم في النهاية ضد جمعية جراحة التجميل بقرار يقول إن الحصول على شهادة تخصص في جراحة التجميل كي تطلق على نفسك اسم جراح تجميل «تقييد للتجارة الحرة» ويخرق قانون التجارة والاتصالات الفيدرالي. كم في هذا غبن للمعايير والحماية التي يستحقها المستهلك!

2. تدر جراحة التجميل أموالاً طائلة. جعلت قوانين العناية الصحية المنظمّة من الصعب جداً كسب العيش من مهنة الطب اليوم، ناهيك عن الدَين الذي يبلغ عادة 250,000 دولار والذي يتراكم على طالب الطب ومقيم الاختصاص خلال مدة دراسته. هناك فكرة عامة خاطئة في هذه البلاد بأن جميع الأطباء أثرياء. في واقع الأمر، معظم الأطباء الذين أنهوا تمرينهم عام 2005 لا يستطيعون حتى التفكير في شراء منزل إلى أن يدفعوا الدين الذي تراكم عليهم خلال مدة دراستهم.

جراحة التجميل التجميلية أو الجمالية هي الحقل الوحيد المتبقي في الطب الذي تحصل فيه على «أجر مقابل الخدمة» أي «حقل ادفع واحمل» ويمكن أن يكون مربحاً جداً. للأسف، يسوّق كثير من الأطباء الذين لم

يتدربوا تدريباً رسمياً أو لم يحصلوا على شهادة الاختصاص أنفسهم على أنهم «جراحو جمال» أو «جراحو تجميل» لأنهم يريدون أن يجنوا المال ولم يتأهلوا أو لم يريدوا أن يمضوا خمس سنوات ـ أو سبع سنوات ـ في برنامج التدريب بعد إنهاء الدراسة في كلية الطب، واللازمة كي يصبح الطبيب جراح تجميل كامل التدريب حائزاً على شهادة الاختصاص.

لذلك، عزيزي القارئ، قدمت لك سببين من أهم الأسباب التي يجب أن تجعلك تخاف من أن تدع كل «من هب ودب» يلمس وجهك الفريد. ربما كانت هناك لسعة أفعى تنتظركم في أماكن معينة من غابة المجتمع غير الطبي والمجتمع الطبي، ومن كان منكم يختار الذي يعالجه من دليل الصفحات الصفراء على غير هدى أو بينة، فليشتر منذ الآن علبة المصول المضادة للسع الأفاعي ويبدأ بأخذ مضادات السموم على الفور.

لقد شاهدت خلال عملي على مدى خمس وعشرين سنة في جراحة التجميل بعض الاختلاطات المؤسفة لعمليات جراحة تجميل قام بها أشخاص غير مؤهلين. عندما سألت المرضى كيف وجدوا الطبيب كانت معظم الأجوبة، كما تتوقعون، من دليل الصفحات الصفراء! هناك حادثة مؤثرة أخرى أتذكرها حيث جاءت سيدة مصابة بندبات شديدة في الوجه وأخبرتني، بحرج، أن خادمتها هي التي نصحتها بالطبيب! فكروا في الأمر. هل تظنون أن شركات الهاتف تسأل الشخص «هل أنت حائز على شهادة الاختصاص؟» قبل أن تأخذ 5000 دولار لتدرج اسمه في الدليل على أنه جراح تجميل؟ لا أظن ذلك.

لذلك إذا لم تكن تستطيع أن تثق بدليل الهاتف أو الخادمة لإرشادك، فكيف يمكنك أن تجد جراح تجميل مدرباً تدريباً جيداً وحائزاً على شهادة الاختصاص؟ يمكنك الاتصال بالجمعية الأمريكية لجراحي التجميل على رقم (888) 4-PLASTC أو على موقعهم على شبكة المعلومات www.plasticsurgery.org. لا بد أن يكون الطبيب جراح تجميل حائزاً على شهادة الاختصاص قبل أن يدرج اسمه في هذه الجمعية. بعد أن قمت بما يلزم وتزودت بالمعلومات، يمكنك أن تبدأ عملية المقابلة الشفهية وتقيّم جراح التجميل المفترض. بعد مقابلة الجراحين، عليك أن تستمع لأهم من يحميك: حدسك الداخلي.

ما هو جراح التجميل الحائز على شهادة الاختصاص؟

الجواب المباشر الصادق والجواب الوحيد الذي يجب أن تقبل به: هو الطبيب الذي حاز على شهادة الطب، وأمضى بعد إنهاء الدراسة في كلية الطب، خمس إلى سبع سنوات في برنامج تدريب معترف به في واحد من حقول الجراحة الأساسية وأمضى آخر سنتين من هذه السنوات في برنامج تدريب معترف به في جراحة التجميل. (في أمريكا يعترف بالبرنامج مجلس التعليم الطبي للمتخرجين، وفي بريطانيا الكلية الملكية للجراحين، .. إلخ). يمكن قضاء برنامج التدريب الجراحي في الجراحة العامة أو الجراحة العظمية أو الجراحة البولية أو الجراحة العصبية أو جراحة الأذن والأنف والجنجرة أو أي برنامج تخصص جراحي معترف به لكن آخر سنتين يجب أن تكونا في برنامج تدريب جراحة تجميل معترف به.

حتى بعد خمس إلى سبع سنوات من التمرين لا يحصل المتدرب تلقائياً بعد على شهادة الاختصاص في جراحة التجميل. يجب على الطبيب أن يمارس جراحة التجميل بنجاح مدة سنتين (هذه عبارة مخيفة!) وهو يعتني بالمرضى ويجري عليهم العمليات الجراحية. يجب أن ينجح الطبيب في غضون هذه المدة بامتحان كتابي صارم لتوثيق أنه يملك المعلومات الكافية عن فن وعلم ممارسة جراحة التجميل. ثم يجب عليه أن يقدم قائمة بجميع عمليات جراحة التجميل التي قام بها خلال هاتين السنتين للمجلس الأمريكي لجراحة التجميل وأن ينجح بعد في فحص شفوي شامل وصارم.

يقوم جراحو التجميل الخبراء الأعلى مرتبة الحائزون على شهادة الاختصاص الذين يطلق عليهم اسم «فاحصي المجلس» قبل الامتحان بدراسة بتدقيق قائمة عمليات المرشّح بحثاً عن الأخطاء أو سوء الحكم أو فرض أسعار دون ضمير أو أي سلوك آخر غير ملائم قبل أن يسمحوا للمرشّح بدخول الامتحان (أعرف ذلك لأنني كنت في ذلك المجلس وأعرف ماذا أقول). صدقوني عندما أقول لكم إن بعد كل هذا، هناك من المرشحين من يرسل إلى منزله ولا يسمح له بإنهاء الامتحان. هذا شيء محزن وصعب جداً، لكنه يعني أن المرضى هم أولوية المجلس الأمريكي لجراحة التجميل. يتقدم أمان المريض وسمعة الاختصاص على أي اعتبار آخر!

إذا تم قبول المرشّح في الامتحان، فإنه يخضع لامتحان على مدى يومين وفي سلسلة من أربع جلسات يمتحنه فيها جراحان أعلى رتبة حائزان على شهادة الاختصاص وجهاً لوجه. إنه امتحان مفتوح معقد يهدف إلى معرفة

هل المرشّح ملائم في نظر الفاحصين الأعلى رتبة لأن يسمى طبيباً مختصاً في جراحة التجميل. (هناك نظام مشابه في بريطانيا لزمالة الكلية الملكية، وأنظمة مشابهة في الدول الأخرى). يمكن أن يرسب المرشّح حتى في هذه المرحلة الأخيرة ولا يسمح له بأن يسمي نفسه مختصاً في جراحة التجميل. فكروا في الأمر ـ بعد عشر سنوات من التدريب والخبرة بعد الدراسة في كلية الطب ولا يزال على الطبيب أن ينجح في أقسى تدقيق شخصي وأشد امتحان أمام أعلى جراحي هذا الحقل مرتبة وأكثرهم خبرة.

هل هذا هو الطبيب الذي تريدون أن يجري العمليات الجراحية على وجوهكم؟ نعم بالطبع. هذه المعلومات ليست متوافرة بوضوح في دليل الصفحات الصفراء ولا الصحف ولا المذياع ولا برامج الدردشة على شاشة التلفاز ولا لوحات الإعلان ولا شبكة المعلومات. لكنها متوافرة لأمثالكم من المستهلكين الواعين عندما تتصلون بالمجلس الأمريكي لجراحة التجميل هاتفياً أو على شبكة المعلومات (www.abplsurg.org ,9322-587-215). تلك هي الطريقة التي تبدؤون بها بحثكم عن الطبيب.

أسهم أطباء الأمراض الجلدية أيضاً إسهاماً عظيماً في علم هرم الوجه وكانوا رواداً في اكتشاف «المستحضرات الجلدية»، والليزر والعديد من المعالجات غير الاستئصالية التي بحثناها سابقاً في هذا الكتاب. ربما سيأتي التقدم الهائل في أبحاث الهرم والتقدم الخارق في التعديل الوراثي الضروري لعكس عملية الهرم على المستوى الجزيئي، جزئياً، على يد أطباء الأمراض الجلدية. إنهم هم أطباء الجلد ويستطيعون أن يقدموا لكم الكثير في معركتكم ضد الهرم. لكنهم ليسوا جراحين، من حيث إنهم لم يتدربوا في برنامج تدريب جراحي كما وصفنا سابقاً.

الأهم من ذلك، أن الجراح المدرب تدريباً كاملاً مدرب على كيفية العناية بالمريض كوحدة كاملة، ليس فقط جلد الوجه، خاصة إذا حصلت مشكلات. إضافة إلى ذلك، يلزم - حسب رأيي - خمس إلى سبع سنوات من التدريب الاختصاصي والخبرة لتعلم التشريح المعقد وتغيرات الهرم التي تستطيع جراحة التجميل أن تصححها.

انتبهوا، لا يوجد اختصاص جراحي يعترف به مجلس التعليم الطبي للمتخرجين في أمريكا أو الكلية الملكية للجراحين في بريطانيا يسمى «جراحة الجمال». هنا يشتري المشتري على مسؤوليته.

ثقفوا أنفسكم

إذا كنتم تفكرون بإجراء جراحة تجميل، يجب على طبيبكم الخاص أن يحوّلكم إلى جراح يعرف أنه متدرب جيداً وأخلاقي ويتمتع بمهارة عالية. الأكثر شيوعاً هو أن يحول المرضى السعداء الذين حصلوا على نتائج إيجابية عند جراح تجميل معين أصدقاءهم إلى ذلك الجراح. لكن إذا لم يتوافر لك أحد هذين الطريقين، فاتصل بإحدى المراجع التي ذكرتها لك سابقاً كي تحصل على قائمة بالاختصاصيين في منطقتك. أنصحكم بالحصول على اسمين على الأقل لجراحين مختصين في جراحة التجميل.

لكن ذلك نصف الطريق فقط. يجب أن ينجح الجراح الذي تختارونه في امتحان شفهي آخر حتى يكسب ثقتكم ويحصل على شرف وامتياز أن يصبح طبيبكم.

أنا مخلص في قولي إن اختياركم للطبيب شرف وامتياز له. أستاذي الذي تعلمت جراحة التجميل على يديه وتدربت تحت إشرافه هو الدكتور

جوزيف ي. موري، الأستاذ ذو الكرسي في جراحة التجميل في مستشفى بريغهام والنساء في بوسطن بولاية ماساتشوستس وأستاذ الجراحة في كلية طب جامعة هارفارد. حصل الدكتور موري على جائزة نوبل في الطب تقديراً لعمله بالقيام بأول عملية زرع للكلية، وهي الحادثة التي أدت لولادة حقل زرع الأعضاء المذهل. تطور هذا الحقل اليوم إلى زرع الكلية والقلب والرئة والكبد والأمعاء والأعضاء الحيوية الأخرى منقذاً حياة آلاف من الناس وواقياً لهم من العجز.

هل بدأ جراح تجميل كل هذا؟ في الحقيقة، نعم. لم يزل الدكتور موري (الذي بلغ الآن الثمانينيات من العمر) طوال مدة تدريبي وحتى يومنا هذا يبتسم وعيناه تشعان وهو يقول، «أشعر بامتياز وشرف كبيرين أن أكون جراحاً»، وهو صادق فيما يقول.

إنه أعظم جراح تجميل على سطح المعمورة وله شرف وامتياز بمعالجتكم. يجب أن يشعر كل جراح تجميل بالشعور نفسه. أنتم المرضى تمنحوننا الشرف والامتياز العظيمين عندما تثقون بنا على أرواحكم وصحتكم. إن أي جراح ينسى ذلك وينظر إليكم على أنكم القسط القادم من أقساط سيارة الفاراري أو اللامبارغيني التي اشتراها يستحق أن يجرد من شهاداته وأن يحزم أمتعته مطروداً. لقد انتهك ذلك الطبيب ثقتكم.

ماذا تستطيعون أن تفعلوا لكيْ تتأكدوا قدر الإمكان أن الجراح الذي اخترتموه شخص لا يتمتع فقط بالمعرفة والمهارة لإجراء رفع وجه جيد أو أي عملية أخرى، بل يملك أيضاً السلوك والدوافع الأخلاقية ليقدم لكم أفضل ما عنده؟ للأسف لا يمكن للتأهيل وشهادة الاختصاص أن يقدما

لكم تلك البصيرة. لا يمكن أن يساعدكم هنا سوى غريزتكم وحدسكم إضافة إلى تبصر وخبرة المرضى الآخرين الذين عالجهم الطبيب نفسه. لذلك هاكم نصيحتي، إرشاداتي لكم عندما تستشيرون طبيباً:

ادرسوا الطبيب. يقدم كل من الجمعية الأمريكية لجراحة التجميل (PLASTIC, www.plasticsurgery.org - 4 - 888) والجمعية الأمريكية لجراحة التجميل الجمالية (www.asaps.com 2147 - 367 - 800) معلومات سهلة الفهم عن جميع جراحي الجمال. يمكنكم الاتصال بهاتين الجمعيتين أو زيارتهما على موقعهما على شبكة المعلومات والحصول على كراسات تعليمية حول أي عملية تريدون إجراءها. قوموا بذلك واقرؤوا المعلومات المتعلقة بالجراحة التي تفكرون فيها.

اكتبوا الأسئلة التي ستسألونها قبل استشارة الطبيب. حضّروا أنفسكم. من لديه المعرفة لدية القوة. يجب أن تعرفوا ماذا ستسألون الجراح. اسألوا الأسئلة المناسبة. هاكم بعض الأسئلة التي قد لا تكون موجودة في الكراسة التعليمية:

1. هل أنت حائز على شهادة اختصاص في جراحة التجميل؟ يجب أن تحصلوا على جواب مباشر هنا. انظروا على الحائط وسترون شهادة الاختصاص (الشكل 10-1).
2. هل أنت خبير أو هل أنت مختص في جراحة التجميل الجمالية والتجميلية؟ هذا مهم حسب اعتقادي. لا يملك كثير من جراحي التجميل التصنيعي الممتازين سوى خبرة ضئيلة في جراحة التجميل الجمالية. يجب أن تسألوا هذا السؤال.

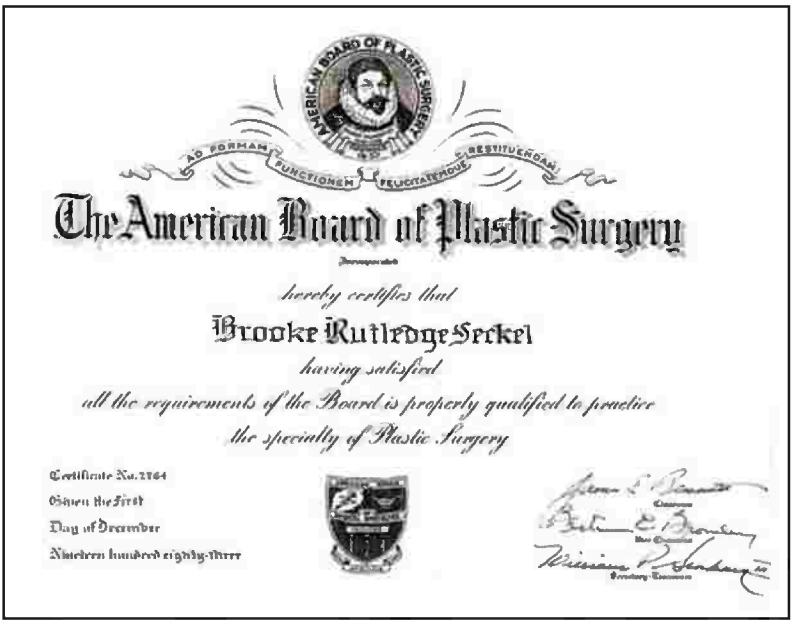

الشكل 10-1

شهادة البورد الأمريكي في جراحة التجميل

3. كم أجريت من هذه العمليات؟ هل تجريها كثيراً؟ (أي كل أسبوع).

4. هل أنت مرتاح لإجراء عمليتي الجراحية؟ هل أنت واثق من أنك سوف تحصل على نتائج جيدة في وجهي وعينيّ، أو ثدييّ وجسدي؟ حيث إننا مختلفون في خصائصنا وتحدياتنا التشريحية.

5. ما المشكلات التي يمكن أن تحصل؟ ما هي الاختلاطات الممكنة؟ ما نسبة حصولها؟

6. ماذا سيحصل إذا حدثت مشكلة؟ هل إعادة العملية أو التصحيح مجانية أم يجب أن أدفع تكلفتها؟

7. كم زيارة أو كم مرة سأستطيع أن أراك بعد العملية؟ هل أستطيع الاتصال بك أو بمن يستطيع الاتصال بك 24 ساعة في اليوم و7 أيام في الأسبوع بعد العملية؟ هل هناك من يستطيع رؤيتي ليلاً أو في عطلة نهاية الأسبوع أو في الأعياد إذا حصلت مشكلة؟

8. هل ستسمح لي بالاتصال والحديث مع المرضى الذين أجريت لهم عمليات جراحية حتى يخبروني بتجربتهم؟

هذه أسئلة ممتازة يجب أن تسألوها ولكم كامل الحق في الحصول على جواب واضح صادق. تعكس هذه الأسئلة حقيقة أنكم درستم الموضوع وأنكم مرضى واعين. صدقوني أن الجراح الجيد سوف يكون سعيداً لأنكم قد حضّرتم لأنفسكم.

يشكل المرضى غير المحضّرين والذين لا يملكون أي معلومات مشكلة كبيرة بعد العمل الجراحي. أحاول جاهداً أن أخبر المريض قبل العملية بما يجب عليه أن يتوقع. يوقع المريض على إقرار واع، وهو على شكل وثيقة محضّرة قانونياً، تشرح الاختلاطات والمشكلات الممكنة. أظهرت الأبحاث أن المرضى ينسون 90% مما قيل لهم وما صادقوا بتوقيعهم أنهم قد قرؤوه وفهموه.

هذه مشكلة صعبة جداً. ربما كان ذلك صعباً، لكن يجب عليكم بصفتكم مرضى أن تقوموا بأدواركم وأن تكونوا مستهلكين واعين.

ثقوا «بشعوركم الداخي» و«الأعلام الحمراء»

(«اركض يا صاحبي اركض!»)

ها أنا ذا أقول ما يجب أن يبدو واضحاً للجميع، لكن كم مرة في حياتنا أحسسنا بذلك الشعور الداخلي وأهملناه واتخذنا قراراً ثم ندمنا عليه؟ إجراء عملية تجميل ليس كشراء سيارة أو جواهر نفيسة أو ثوب سهرة ثمنه 10.000 دولار. يمكن أن تكون هذه الأشياء اختيارات خاطئة تكلفنا المال وتركّب علينا الديون، لكننا نبقى أحياء وصحتنا جيدة بعد مدة! لا يزال أصدقاؤنا قادرين على التعرف علينا، ونتعلم من أخطائنا ونستعيد حياتنا.

لكن اختيار جراح التجميل الخاطئ لإجراء العمل الجراحي على وجوهنا يمكن أن يؤدي إلى تشوه غير قابل للتصحيح وإلى فقدان الصحة والشعور الجيد حول الذات قالباً أجمل أحلامنا إلى كوابيس.

لا أريد أن أثنيكم عن جراحة التجميل. تجرى في هذه البلد لآلاف الناس عمليات جراحة تجميل رائعة كل عام والاختلاطات نادرة جداً جداً جداً عندما تجرى العملية المناسبة على المريض المناسب من قبل جراح مناسب. أريد أن تحصلوا على أفضل شيء موجود وأريد أن تكون تجربتكم جيدة. إذا تحقق ذلك، فإنكم تجلبون السعادة إلى أنفسكم والشرف إلى مهنتي. لكن هناك عدة أمور أسميها تحذيرات العلم الأحمر تنبع من حدسكم الذاتي وهي تحاول أن تحميكم. استمعوا إليها:

- ذكّروا أنفسكم أولاً أن الطبيب الذي تزورونه يريدكم أن تكونوا مرضاه. العمليات الجمالية عمليات اختيارية، وأنتم تدفعون أجراً

مقابل العملية. أنتم هنا من يقدم المنّة. يجب أن يكون الطبيب لطيفاً وديعاً ومهتماً ويحترم المريض على أساس أنه إنسان. إذا لم يجعلكم الطبيب تشعرون بذلك، فابتسموا بتهذيب وقولوا، «شكراً، سنعود إليك عندما نتخذ قرارنا» وغادروا العيادة. أهم سؤال تسألونه لأنفسكم هو ، «هل أثق بهذا الشخص؟ هل سأرتاح عندما أدع هذا الإنسان يهتم بي إذا حصلت مشكلة؟ إذا كان الجواب لا، غادروا. هل تذكرون ماذا قالت جيني لفورست في فلم «فورست غمب» عندما كان الصبيان الأشرار يطاردونه؟ صرخت «اركض يا صاحبي اركض».

- الجراح بارد الأعصاب. لا يجب أن يكون ذلك عائقاً بينكم وبينه. ليس من شأنكم أن أبوي الطبيب لم يكونا حنونين بما يكفي أو أن حياته الشخصية صعبة. بعض عباقرتنا العظماء (مثل موزارت) يُدفعون إلى إنجاز أعظم أعمالهم من قبل أرواحهم المضطربة. لا يمكن لسنوات التدريب والتدقيق والامتحانات الصارمة أن تضمن الحنان واللطف الأساسيين في البشرية. ضعوا ثقتكم في شعوركم. تكلموا مع الطبيب وانظروا في عينيه ووجهه. هل سترتاحون وأنتم تطلبون منه أن يساعدكم في لحظات الخوف، أو حتى بسؤاله أبسط الأسئلة؟ يجب أن تشعروا بتلك الراحة. إذا لم تشعروا بها «فاركض يا صاحبي اركض!»

- يشعر الجراح بعدم الارتياح، ويصبح دفاعياً أو غاضباً عندما تسألونه تلك الأسئلة المهمة التي يجب أن تسألوه إياها. مرة

أخرى، ضعوا ثقتكم في حدسكم. يجب أن يرحب الطبيب بالأسئلة ويجيب عنها بما يرضي فضولكم. إذا شاهدتم العرق ينحدر على جبينه أو رأيتم إشراق الاستقبال الأولي يختفي، «فاركض يا صاحبي اركض!»

- لا يتصرف الجراح تصرف طبيب. أنا شخصياً أفضل معطفاً أبيض أو حلة محافظة. حتى اللباس الفضفاض غير الرسمي مقبول. كثيراً ما أرتدي ثياب العمليات والمعطف الأبيض في عيادتي. إذا كان الطبيب يتصرف كأنه بائع سيارات أو يبدو وكأنه ارتدى ثيابه ليظهر بها على المسرح في لاس فيغاس، فإنني سوف أشعر بالقلق. ما يهم فعلاً هو حرفية الجراح وشهاداته وليس المزهرية الصينية الأصلية الموجودة في غرفة الانتظار. لا تسيئوا فهمي. أنا أحب المزهريات الصينية الأصلية (يا ليتني قادر على شراء واحدة) والأشياء الجميلة. لكنني أؤمن، وأطبق ذلك في عيادتي، إن عيادة جراحة التجميل يجب أن تكون مصممة من أجل راحة المريض ومتعته. لكن إذا شعرتم بالروعة من التصميم الداخلي والستائر أكثر من حرفية الجراح، «فاركض يا صاحبي اركض».

- يجعلك الجراح أو العاملون عنده تشعر بالغباء لأنك تسأل الأسئلة. لو لم تكونوا تعرفون تلك اللعبة التي يلعبونها لما كنتم تقرؤون هذا الكتاب. هل تريدون أن تثقوا بمن يجعلكم تشعرون بأنكم أقل من مستواكم أو حتى أن تجلسوا بجواره. يجب أن تشعروا بأنكم بشر ذوو قيمة لكم همومكم وقلقكم ومخاوفكم الطبيعية.

أنتم قادمون إلى شخص محترف من واجبه أن يجعلكم تشعرون شعوراً جيداً حول أنفسكم. إذا لم يكن ذلك «فاركض يا صاحبي اركض!»

- إذا بدا الأمر أفضل من أن يمكن تصديقه، فهو غير قابل للتصديق. كلنا نعرف ذلك. إذا خطرت هذه الفكرة على بالكم فاحترموها «واركض يا صاحبي اركض!»

- جراحة التجميل ليست رخيصة التكاليف. تشمل عناصر العمل الجراحي مهارة الجراح وخبرته إضافة إلى أدوات عالية التقنية غالية الثمن، كما تشمل التخدير والممرضات والعناية المعقدة بعد العمل الجراحي. إن أي جراح تجميل يقدم لكم عرضاً رخيصاً فإنه يفعل ذلك على حساب الاستغناء عن عنصر مهم من عناصر العمل الجراحي، وعندما يتعلق الأمر بالصحة والسلامة لا يمكنكم الاستغناء نستغني عن أي شيء. تصدر الجمعية الأمريكية لجراحة التجميل الجمالية نشرة بالتكاليف الوسطية لعمليات التجميل المختلفة في هذا البلد. اسألوا الطبيب ببساطة عن أسعاره بالمقارنة مع الوسطي القومي. نعم العملية أرخص في العيادة بالمقارنة مع المستشفى، لكن هل العيادة آمنة؟ اسألوا أين سيأخذونكم إذا حصلت مشكلة. لا أقلق في جراحة التجميل إذا كان الطبيب يطلب مبلغاً أعلى من المبلغ الوسطي. هناك عادة سبب وجيه. هؤلاء أفضل الجراحين وتسمح لهم خبرتهم وسمعتهم بطلب أجر أعلى. نعرف إذا كانوا فعلاً يستحقون ذلك من الحديث مع المرضى الذين أجريت لهم عمليات جراحية من قبل هؤلاء الجراحين. تأكدوا من

أن تطلبوا الإذن بالحديث مع مرضى مختلفين. إذا عرض عليكم أحد صفقة أو تخفيضاً كبيراً ، «فاركض يا صاحبي اركض!»

- يأخذ الطاقم الطبي الذي يعمل مع جراح التجميل ـ سكرتيرة الاستقبال، الممرضات، المساعدون، الفنيّون، الأطباء المساعدون، والمخدرون- جزءاً كبيراً من تكاليف العملية. يؤدي هؤلاء دوراً مهماً في العناية بعد العمل الجراحي ولا يقدّر دورهم بثمن. تحدثوا معهم وثقوا بحدسكم. هل هم أشخاص محترفون طيبون لطفاء مهتمون ستكون مرتاحاً بطلب المعونة منهم والاعتماد عليهم؟ لا تخترهم بسبب جمالهم وثيابهم ونجوميتهم. إنهم محترفو مهنة طبية وليسوا عارضي أزياء. إذا شعرت أنك لا تنتمي إلى جو العيادة فإنك فعلاً لا تنتمي هناك، «اركض يا صاحبي اركض!»

- اختر جراح تجميل يقوم بكثير من العمليات التجميلية. لا تتطلب جراحة التجميل المعلومات والقرار الحكيم فقط، بل تتطلب أيضاً المهارة اليدوية والبراعة. من لا يملك هذه المهارة اليدوية يخرج عادة من برامج التدريب. لكن سواء كنا نعزف البيانو، أو ندهن المنزل، أو نطرز بالإبرة أو نجري جراحة تجميلية، فإن التمرين يصقل الخبرة. الجمعية الأمريكية لجراحة التجميل الجمالية (800-2147-367, www.asaps.com) جمعية تضم جراحي التجميل ذوي الاهتمام الخاص والخبرة في جراحة التجميل الجمالية. يضم موقعهم على شبكة المعلومات معلومات مفصلة حول العمليات التجميلية وهو موقع ممتاز تبدؤون به للحصول على معلومات عن

العمليات التي تنوون الخضوع لها. لا شك أن الطبيب الذي يجري عمليات تجميلية أسبوعياً سيكون أفضل من الطبيب الذي لا يجريها إلاّ أحياناً، كل شهر أو أكثر. اسألوا الجراح ذلك السؤال وانظروا في جوابه. إذا شعرتم بالقلق، «فاركض يا صاحبي اركض!»

أخيراً، ودفاعاً عن زملائي الجراحين الشباب، دعوني أقول إن الأقدم سناً والأكثر خبرة ليس دائماً أفضل من الشاب الماهر. الشعر الرمادي ليس ضماناً. هناك عدد من جراحي التجميل الشباب اللامعين الحائزين على شهادات الاختصاص والمهرة أكثر من قبل بكثير. يستطيع هؤلاء أن يجروا عمليات مثل أو أفضل من الجراحين القدامى غير الموهوبين. الموضوع موضوع توازن. يجب أن تسألوا الأسئلة المناسبة وأن تثقوا بحدسكم ـ شعوركم الداخلي – وتذكروا أنه من المهم الحديث مع مرضى سابقين.

الإدمان على جراحة التجميل ـ اضطراب تشوه الجسم

وجدت من خلال خبرتي أن معظم المرضى الذين يطلبون معالجات إعادة شباب الوجه مرضى عندهم حساسية وروعة عقلية ويتأقلمون بشكل جيد فهم يعتبرون الظهور بأحسن مظهر جزءاً من الشعور الإيجابي العام تجاه الحياة والصحة. لكن هناك بعض الناس الذين يطلبون الجراحة التجميلية لا لمحاربة الهرم وتحسين مظهرهم ولكن لتصحيح تشوه يتخيلونه لا يراه سواهم. غالباً ما يكون هؤلاء المرضى شباباً وهناك أدلة على أن هذه الظاهرة أكثر شيوعاً عند الذكور.

يجب أن يكون جميع جراحي التجميل الحائزين على شهادة الاختصاص المدربين جيداً والملتزمين أخلاقياً على علم بهذا المرض الذي يسمى

اضطراب تشوه الجسم، وأن يحثوا المريض على مراجعة طبيب نفسي لا على الخضوع لعمل جراحي. لكن، كما ذكرت سابقاً في هذا الفصل، هناك بعض الممارسين المجردين من الضمير وغير المتدربين من الأطباء وغير الأطباء في هذه البلاد الذين يهتمون بجمع المال أكثر من صحة وسلامة المريض. كثيراً ما ينتهي المطاف بالمرضى الذين رفض الجراحون المحترمون إجراء عمليات جراحية لهم بالخضوع لعمليات جراحية في عيادات «الأزقة الخلفية» بنتائج كارثية في كثير من الأحيان.

تشير وسائل الإعلام لمن يجرون كثيراً من عمليات التجميل على أنهم «مدمنون على جراحة التجميل». لكن التعبير الطبي الصحيح لوصفهم هو اضطراب تشوه الجسم. هذا الاضطراب عبارة عن وسواس خطير ومؤلم ومزعج حيث يتخيل المريض وجود تشوه في الجسم. لا يمكنكم عندما ترون مثل هذا الشخص أن تتخيلوا ما يجدونه غير مرغوب في مظهرهم! يذهب المصابون بهذا الاضطراب إلى أقصى سلوك عجيب لتعديل مظهرهم. لا أتحدث عن 3 أو 4 عمليات تجميل، بل أتحدث عن 10 إلى 20 عملية!

من الواضح أنه يجب على الطبيب تجنب إجراء العمل الجراحي على هؤلاء الأشخاص. لكن المرضى ليسوا دائماً صادقين صرحاء عندما يتحدثون عن ماضيهم الطبي ومن المحتمل أن يُستدرج طبيب ذو نوايا حسنة إلى إجراء عمل جراحي على أمثال هؤلاء دون أن يدرك حقاً دوافع المريض للخضوع للجراحة.

يعرّف اضطراب شوه الجسم[2] بما يأتي:

- الانشغال الكامل بتشوه خيالي في المظهر. إذا وُجِد خللٌ جسدي طفيف، فإن قلق الشخص يكون مبالغاً فيه جداً.

- يسبب هذا الانشغال الكامل كرباً شديداً أو خللاً في الوظائف الاجتماعية أو المهنية أو الأمور المهمة الأخرى.
- لا يمكن تفسير هذا الانشغال الكامل بمرض عقلي آخر (مثلاً عدم الرضى عن شكل الجسم وحجمه الذي يحصل في القهم العصابي).

لا يصف التعريف السابق الشخص «العابث قليلاً،» بل يصف أشخاصاً مصابين باضطراب وسواسي خطير. إذا كان ذلك ينطبق عليك أو على شخص تحبه أو على صديق لك، فإنني أرجوك أن تقرأ أو تطلب من ذلك الشخص قراءة كتاب «المرآة المكسورة» للدكتورة كاثرين أ. فيليبس. يمكن الحصول على المساعدة من مؤسسة ويستوود لاضطرابات القلق (www.hope4ocd.com).

ابقوا مطلعين على آخر المستجدات

يتقدم الطب المضاد للهرم عامة وإعادة شباب الوجه خاصة تقدماً سريعاً. تكتشف معالجات جديدة وتقدم معلومات جديدة كل يوم تقريباً. من الضروري أن تستمر في القراءة وتثقيف نفسك. آمل أن يكون هذا الكتاب قد حثكم على تعليم أنفسكم أكثر فأكثر في أمور الصحة والسلامة والمظهر الجيد والشعور السعيد. سوف أحاول، مع تقدم الأبحاث والتقنيات، أن أبقيكم على اطلاع في موقعي على شبكة المعلومات .www.saveyourface com. أو يمكنكم الاطلاع عليها من موقع www.swiss-care.com .

كان هدفي من كتابة هذا الكتاب هو تعريفكم بالحقائق المتعلقة بهذا الموضوع المهم الذي تزداد شعبيته يوماً بعد يوم. لقد حاولت تقديم

معلومات متوازنة وصادقة تشمل الاختلاطات كما تشمل الفوائد عندما نحاول أن نتبع شكلاً ما من أشكال إعادة شباب الوجه كجزء من برنامج عام لتحسين الصحة والسلامة. بالطبع، أؤمن كجراح تجميل بقيمة وأهمية مهنتي وآمل مخلصاً أن يساعدكم ما تعلمتموه في هذا الكتاب على تحقيق أهدافكم بأمان وسرور. أتمنى لكم حظاً سعيداً وصحة ممتازة! آمل أن نستطيع الاستمرار في هذه المناقشة المهمة والبقاء على اتصال على شبكة المعلومات.

المراجع

1. Hubbs, L. Treating complications caused by non-physicians. Skin & Aging. 10: 57, 2002.

2. Phillips, K. A. The Broken Mirror: Understanding and Treating Body Dysmorphic Disorder, New York: Oxford University Press, 1986. Pp. 33.